الفصل الرابع

الكشف عن مواهب التلاميذ

يحتاج عالمنا الحاضر إلى عشرات الآلاف من القدرات الإنسانية المختلفة إذا رغبنا في تسيير دفة شئونه، ذلك أنه لم تظهر فترة في التاريخ وجدت فيها أشياء كثيرة تحتاج إلى عمل متقن مثل هذه الفترة التي يعيش فيها، فمنذ بداية هذا القرن أدت الوسائل الاجتماعية والميكانيكية والعلمية والتجارية والفنية الجديدة إلى ظهور مواهب تتطلبها الحياة كما يتطلبهاالعمل في مدينتنا، وأظهر الناس من المواهب ما يكاد يكون حلما منذ قرن أو قرنين من الزمان ولم تعد توجد آلة جديدة، أو عملية جديدة إلا كان هناك شخص خبير بها.

ولم يعد هناك شيء قديم وآخر جديد، وإنما هناك بعض الناس الذين يفضلون البعض الآخر في استعمال هذا الشيء أوذاك، فالأفراد يختلفون اختلافا عظيما في طريقة عمل كل شيء من هذه الأشياء التي تحتاج إلى عملها في عالمنا.

بل إن مدى اختلاف الناس في قدرتهم على عمل أبسط الأعمال يعتبر أعظم بكثير مما يوجد من اختلاف في الطول بين أقصر قزم وأطول عملاق.

ويختلف الأفراد أيضا فيما يتصل بتلك الأشياءالخاصة التي يجيدون

عملها، وأن ما يعتبر غذاء لإنسان يعتبر سما لآخر لا يصدق هذا القول على شيء أكثر مما يصدق الآن على تحليل قدرات الأفراد، فهنالك العلماء الذين يدرسون ويفسرون ما عمله آخرون، وهناك من يقومون بالأعمال اليدوية، وهناك من يبتكر، وهناك من يطبق الأفكار في الميدان العملي، ويحتمل أن يصبح القادة في ميدان ما، أتباع في ميدان آخر ذلك أنه لا يوجد شخص يعتبر خبيرا بكل شيء، ومثل هذا يصدق على الأطفال في المدرسة.

وتعتبر المدرسة التي لا تراعي هذه الحقائق الآن متخلفة عن زمنها، وتعتبر إحدى مشكلات المدرس الأساسية اكتشاف الميول الخاصة لكل فرد نحو الحياة والعمل وسر فوزه، وفهم إمكانيات النمو عنده وذلك عن طريق أفضل الطرق التي تصل لذلك، ويلي هذا الاكتشاف توفير أخصب موقف وأحسن بيئة مواتية لتحقيق هذه المواهب تحقيقا كبيرا، ومتى تحققت هذه الأهداف فإنها تجلب سعادة الفرد وتحقق نجاحه وتزيد كفاءتنا إلى أقصى فاعلية ممكنة.

والمدرسة الحديثة تزيد من نجاحها مع الأفراد زيادة مستمرة عن طريق الأشياء المنوعة التي تقدمها، وقد أدرك المدرسون المحدثون أن ميادين الكفاءة الإنسانية قد تزايدت تزايدا هائلا في الخمسين سنة لاأخيرة حتى أنه لم يعد في استطاعة التربية التي عاشت في الماضي السحيق وحده أن تعد النشأ لآلاف الأعمال التي ينبغي أن تتم في اتقان في زمننا هذا، وأدركوا كذلك أن تنوع الأفراد فيما يحصلون وعدم تماثلهم فيه يعد من أحسن المباديء نفعا لبناء شعب أكثر كفاءة، كما أدركوا أن كل فرد تقريبا يمكن

أن يجيد شيئا إجادة تامة أو يقترب من هذه الإجادة إذا أتيحت له الفرصة لينمي استعداده.

وهذه الإدراكات توضح العدد الهائل من الفرص التي يمكن للمدارس الحديثة أن توفرها للنشأ – فرص يجربون فيها مواهبهم، وتكبر المدرسة الحديثة تدريجيا وتصبح مختبرا للميول ومنميا لها لفترة تستمر اثنتي عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة، فالأطفال في رياض الأطفال يستخدمون كتلا من الخشب في البناء ويتناولون آلات ولعبا بسيطة، وينشيء الأطفال في السنة الثانية متجرا يضعون فيه بضائع ويقومون بتسجيلها ويدرس الأطفال في السنة الثالثة عادات الحيوانات دراسة مباشرة ويعنون بانماء النباتات، ويزور الأطفال في السنة الرابعة المصانع وأماكن العمل المحلية ليحصلوا على معلومات أساسية مباشرة قد تثمر فيما بعد فتصبح أساسا لاختيار المهنة، ويتعلم الأطفال في السنة الخامسة تحمل بعض المسئوليات والقدرة على النشر بإصدار صحيفة مدرسية دائمة، ويمارس الأطفال في السنة السادسة والسابعة عمليات السلطة القضائية أو يقلدون جماعة الأمم المتحدة، ويقوم الأطفال في المدرسة الإعدادية بطلاء الحوائط ونسج قطع من القماش وصناعة سبائك من الألمنيوم– ويتعلم البنون والبنات في المدرسة الثانوية رعاية الأطفال في مدرسة الحضانة أو يعرضون مهارتهم في التصوير أو يكتسبون خبرة بالعمل في متاجر أو مصانع أو يكونون جمعية مدرسية للتأمين أو ينشئون محركات كهربائية والتلاميذ في المدارس الابتدائية والثانوية يقرأون ويكتبون أيضا الشيء الكثير.

ولكنهم في هذا يسايرون مستوى قدراتهم وهم يعملون في الميادين

التي تناسب كفاءاتهم، وهذه ليست إلا عينات من الخبرات الكثيرة المتنوعة التي توفرها الأندية والفصول في المدارس الحديثة والتي بواسطتها تختبر وتنمي قدرات النشأ الخاصة والهدف من هذه الخبرات من ناحية مهني ومن ناحية أخرى ثقافي، ومعنى كلمة ثقافة هنا أعم من معناها القديم، والهدف ثقافي أيضا بمعنى أن الشخص الفعال ينبغي أن يفهم الظروف التي يعيش فيها الآن [1]

وكانت مدارسنا حتى في البداية ذات هدف مهني، وكانت هذه المهنة هي الكهنوت وكانت اللاتينية واليونانية والعبرية وسائل مناسبة لإعداد رجال الكهنوت، إلا أنه سرعان ما أصبحت دراسة القانون هدفا في مدارسنا الأولى.

وذلك أننا كنا دولة ناشئة «أمريكا» ذات كيان قانني جديد وقليل من درب على تفسيره، وأصبحت معرفة المواد الكلاسيكية واللغة اللاتينية – أدوات أساسية للتعلم –هامة بالنسبة للقانون أهميتها بالنسبة للكهنوت ولم يصبح الإعداد للطب أيضا هدفاً في المدرسة وفي الجامعة إلا بعد مضى

(1)معنى كلمة ثقافة هنا هو التعريف الحديث الذي وصل إليه علماء الاجتماع، فالثقافة تشمل العناصر المختلفة التي صنعها الإنسان لتنظيم حياته في المجتمع، وهي تشمل مثلا طرفي الإنتاج والأساليب العلمية وغير العلمية وأنواع المعرفة، والعادات والتقاليد، ووسائل التبادل الفكري والنظم العائلية والتربوية والاقتصادية والسياسية والقضائية، والمعاني المختلفة للحقوق والواجبات والمسئوليات، ومن أهم أهداف التربية باعتبارها جزء متكامل من أجزاء الثقافة أن تحافظ على عناصر الثقافة وتعمل على تحسينها وذلك بأن توجه المدرسة النشأ توجيهاً يعرفهم بعناصر هذه الثقافة ويسمح لهم بنقدها وتحسينها وتعديلها، وهذا يتطلب أن تستمد المدرسة برامجها وموادها من واقع الحياة التي يعيش فيها التلاميذ.

بعض الوقت [1]

وأصبح الإعداد للكهنوت، أو للقانون أو للطب «أو لميدان التدريس نفسه» السبب الذي يدفع الشخص إلى الالتحاق بالمدرسة أو الجامعة، وكان الآباء ينظرون بعين الرضا الملحوظ إذا ما استطاع أبناؤهم النجاح في مثل هذه المدرسة والنجاح في التدريب الجامعب، وكان يذهب إلى المدرسة في معظم الأحيان هؤلاء الذين كانوا يميلون إلى أن يصبحوا علماء، أما اليوم فترى جميع الأطفال يذهبون إلى المدرسة، العلماء والعمال والمبتكرون، والقادة، والأتباع، والنظريون والعمليون على السواء.

ولكن مازال نوع التعليم السائد في مدارسنا العامة منذ عهد قريب جدا يهتم بالدراسات التي كانت قد نظمت من أجل إعداد رجال الدين والمحامين والأطباء والمدرسين على الرغم من أن حاجتنا إلى هذه المهن قد اشبعت بمضى الزمن إشباعا مناسبا، وباختصار كان جميع التلاميذ يدرسون مواد قصد بها في الأصل الإعداد لعدد قليل من المهن – بغض النظر عن المهن الجديدة التي كانوا يميلون إليها – ويحتمل أن تكون هذه المواد قاصرة الآن حتى بالنسبة للإعداد لهذه المهن وذلك إذا راعينا ما طرأ على

---

(١)يرجع هذا النوع من التعليم إلى أيام البطالمة في مصر «بعد سنة ٣٢٣ ق.م» وذلك عندما ظهرت المدارس المنظمة في الإسكندرية التي أصبحت في ذلك الوقت مركز التعليم والدراسة البحث، وكان التعليم في تلك المدارس يقوم على تعليم الكتب الكلاسيكية والكتب اليمنية وتعليم اللاتينية واليونانية، وكان يقتصر على الأشخاص الذين يرغبون في الوظائف الراقية مثل الوظائف الدينية وكانت طرقه تهدف إلى استيعاب ما في الكتب وإلى شحذ الذاكرة وتدريب العقل، ومن هنا نشأت فكرة التعليم الأكاديمي النظري الذي كان يتمتع به الفلاسفة والأذكياء والأغنياء، بينما كان أفراد الشعب يتعلمون الحرف المختلفة عن طريق مساهمتهم في الأعمال المختلفة بدون توجيه مقصود من جانب المدرسة.

حياتنا من تغيرات.

فلا عجب إذا كانت المدرسة الحديثة المتطورة في ضوء الحاجات المتغيرة الفهم المتغير قد طورت برنامجا يبدو غريبا في نظر أولئك الذين لا يألفون أغراض المدرسة الحديثة، وقد يبدو مصنع حديث للصلب أو متجر كبير غريباً في نظر شخص لا يزال متمسكا بنظريته التي كونها منذ خمس وعشرين سنة ماضية.

وعندما يفكر شخص ما في المدرسة الثانوية الحديثة فإنه إن لم يكن يألف ما يوجد داخل المدرسة الحديثة، فسرعان ما يفهم المدرسة على أنها المواد الدراسية الأكاديمية التي احتلت مكانا تقليديا والتي كانت لها أسبقية تقليدية في أذهان كثير من المربين، وفي أذهان الطلبة والآباء وأفراد الشعب، ويمضي في تفكيره معتبرا أن وظيفة المدرسة أولا وقبل كل شيء إعداد العلماء في عالم يحتاج إلى العمال والعلماء على السواء، وهو يميل إلى تفضيل المواد الدراسية على الأشياء الجديدة كالموسيقى والفن، والتدبير المنزلي والأعمال التجارية، إن الخطر الذي نراه في تقديس المواد الأكاديمية كجزء مهم من المدرسة ليس في كون هذه المواد غير ذات المواد الأكاديمية كجزء مهم من المدرسة ليس في كون هذه المواد غير ذات قيمة لأسباب معينة أو لأن الحياة التي تقوم عليها لا تعتبر مثار إعجاب، أو لأن المدرسة الحديثة تمتنع عن تعليمها، بل إن الخطر يكمن في افتراض أن هذه المواد هي كل ما نحتاج إليه، أو في افتراض أن النجاح في هذه المواد وحده ويمكن أن ينبئنا بالنجاح والسعادة في المستقبل وبأن صغارنا سيصبحون أشخاصا ذوي أهمية في الحياة.

إن الغذاء التعليمي في مدرسة عام ١٩٠٠ يحتوى على مواد وضعت أصلا لرجال الدين والمحامين والأطباء والمدرسين، ويتطلب تمثله نوعا من القدرة لا تتصل اتصالا وثيقا بكثير من القدرات التي يحتاج إليها النجاح في الحياة، وقد سمعنا جميعا عن الفيلسوف الذي يعيش في برج عاجي، ونحن نعرف كلنا هؤلاء الذين ينجحون في الحياة على الرغم من إخفاقهم في المدرسة، ويحتاج النجاح في مدرسة عام ١٩٠٠ إلى نوع من القدرة اللفظية أي نوع من الذكاء يظهر على أفضل نحو في قراءة الكلمات واسترجاعها والتفكير فيها، غير أن رجال الدين عندنا استخدموا الكلمات وأفرط محامونا في استخدامها، ولم يكن أطباؤنا يستطيعون التقدم بدون محصول كبير منها يمكنهم من تسمية الأمراض وأنواع العلاج التي يقومون بها، وبذلك أصبحت مدارسنا ميادين للتدريب على استخدام الألفاظ، والألفاظ من أهم الأشياء التي ابتكرها الإنسان ولكنها حين تصبح غرضا في ذاتها تقتل الفطنة لدى بعض الناس المتوسطين الذين لم يبلغوا حدا كبيرا من الذكاء [١].

---

(١)إن نشأة التعليم المدرسي الذي كان يهدف إلى تدريب العقل عن طريق استذكار ما يوجد في الكتب أثر على نظريات التربية وطرقها في العصور المختلفة، ذلك أن التعليم أصبح صناعة كلام بمعنى أنه يقوم على قراءة التلميذ للكتب وشرح المدرس ما يوجد في هذه الكتب: وقد أد ذلك إلى الفصل بين الناحية النظرية والناحية العملية، والفصل بين نشاط الجسم ونشاط العقل، واعتبار النظام الكون التام الذي يخلو من نشاط المتعلم.

ولعل من أهم الاختلافات التي توجد بين التربية التقليدية والتربية التقدمية هو أن الثانية لا تفصل بين الناحية النظرية والناحية العملية في التعليم وأنها تعتبر التمليذ كائن حى نشط وأنها تؤكد أهمية النشاط الجسماني والنشاط العقلي في عملية التدريس.

إننا لا نحتقر الذكاء اللفظي ولا نقلل من شأنه حين نقول إن هناك طرقا أخرى تساويه في الأهمية ولا تقل شأنا عنه، فهناك الذكاء الاجتماعي والذكاء الميكانيكي والذكاء الفني، وتعبيرات أخرى عن الذكاء نجدها نامية نمواً كبيراً لدى الأفراد على اختلافهم مع تفاوت في الدرجة، ونحن جميعا نعرف أننا نرى شخصاً غير متعلم وقدرته على قراءة الكتب ليست عظيمة، وهو مع ذلك مقاول ناجح في أعمال البناء وقد يكون مرتفع الذكاء في الشراء والبيع أو في التعامل مع الناس أو في الإلمام بالمواد التي تدخل في أعمال البناء وقد يكون بعيد النظر مدركا لنتائج أعماله.

مساعدة كل تلميذ لبذل أقصى ما يستطيع

إن سر النجاح مع كل طفل يكون في ملاءمته لما يعمل، وتختلف المواد التي تستخدم في بناء المنازل عن تلك التي تدخل في صناعة الملابس كما تختلف عن تلك المواد التي تستخدم في عمل القاطرات، ولكننا في حاجة إلى بناء المنازل وصناعة الملابس والقاطرات جميعًا، ومن العبث والضياع أن نأخذ فتاة تصلح لأن تكون مديرة منزل لتعدها وتدربها على أنماط التدريب التي تلائم المحامي، أو نأخذ ولدًا يبدو أنه سيصبح ناجحاً في ميدان الأعمال لنحاول أن ندربه ونعده بما يناسب إعداد الطبيب.. ومع ذلك فهذا هو ما كانت تحاول التربية عام ١٩٠٠ أن تفعله، وهذا هو بالضبط التدريب الذي يتوقع الآباء أن يحظى أطفالهم به وهم يتوقعون هذا دون يقظة أو التفات.

وقد يكون ما يتوقعه الآباء من أطفالهم في المدرسة غير واقعي، وقد

يؤدي تقدير أهمية الذكاء اللفظي الخالص تقديراً عاليا أحيانا إلى مأساة، وأحيانا يؤدى الأمل في أن يتساوى الأطفال في التحصيل أي في دراسة نفس المواد والعمل على نيل نفس الدرجات اليت ينالها أبناء الجيران إلى تقييد خطوات «جوني» وربطها بخطوات الآخرين ويتغاضى عن الشواهد الواضحة التي تدل على أن مواهب جونى الخاصة تضعه بمعزل عن هؤلاء، والمقارنة بين وضع جوني المدرسي ووضع أبويه حينما كانا في المدرسة فيما مضى كالمقارنة بين «الجبن والآيس كريم» لكل منهما طعم لذيذ ولكنهما مختلفان تماما، كل منهما فيه زبد ولكنهما نتيجة عمليتين مختلفتين:

من السهل أن نقع في مغاطة عندما نقدر التقدم المدرسي لطفل حديث يعيش في ظروف اجتماعية حديثة في مدرسة حديثة على أساس طريقة تفكير صادرة عن نوع من التربية لم يعد صالحا إطلاقا منذ نصف قرن، وتتضمن مظاهر هذا الخطأ من جانب الأب ما يأتي: أريد أن يحضر جوني كتبه معه إلى البيت، لأنى كنت أفعل هذا منذ البداية الأولى لذهابي إلى المدرسة.

أريده أن يحصل على الأقل على درجة جيد لأن ابن جارنا قد حصل على هذه الدرجة، أريد أن يكون ممتازا في الجبر فقد كانت المادة التي فضلها، وأن يتخرج في المدرسة الثانوية، ويذهب إلى الكلية لأنى لا أريد أن يقوم بعمل شاق كما فعلت، أريد منه أن يدرس القانون ليتتبع خطأي وأن يسير سيرا أكاديميا فيدرس اللاتينية والجبر والتاريخ والأدب لأني أريد أن يكون رجلا حسنت تربيته، رجلا مهذبا وهو يستطيع أن يفعل ذلك إذا حاول فحسب وإذا درس وإذا كان مهتما بشغوفا بما يدرس.

ومن ناحية أخرى، من علائم الإيثار ألا يثير الآباء صخبا بصدد ما يريدون لأبنائهم أن يعملوا أو يكونوا، وذلك عندما يفكرون بجد ويتساءلون عن أفضل عمل لأبنائهم في ضوء قدراتهم الخاصة ومواهبهم وخبراتهم وحاجاتهم ومن دلائل الحكمة ألا نفصح عن خيبتنا الكبيرة في الأطفال أو قلقنا عليهم أو ضيقنا بهم لأن هذا يشعر يشعرهم بطريقة ما بأنهم ليسوا أكفاء ولا يمكن أن يثق فيهم آباؤهم لأن درجاتهم ليست كما يريدون لهم.

وقد تتيح هذه الحكمة لطفل معين ألا يهتم بالمواد الموجودة في الكتب اهتماما دقيقا أثناء وجوده بالمنزل ويكفي هذا لأن تقول ثم ماذا؟ هناك ميادين أخرى للكفاءة.. وفي الحق أنه يمكن للطفل الذي يتجه استعداده إلى اتجاه آخر غير الاتجاه الأكاديمي، أن ينمو كشخص ممتاز إذا عومل معاملة صحيحة، وإذا ما قيل أبوه ما يستطيع عمله ونوع هذا العمل قبولاً كافياً، وإذا استثير استثارة سليمة من جانب المدرسين الذين لا يعتقدون أن حفظ الكتب هو المفتاح الوحيد للتربية.

إن مفهوم المستويات، والدرجات المدرسية، والامتحانات القائمة على أفكارها محدودة عن وسائل التحصيل، قد نمت في أحضان تربية ١٩٠٠ ونتجت عنها تلك التربية التي كانت تعتقد أن المهارة في عدد من المواد الدراسية التي تتطلب إجادتها ذكاء لفظيا خالصا تساعد على تكيف الفرد في الحياة، وكانت تعتقد أن الأفراد الذين يختلفون في استعداداتهم اختلافا واضحا، يستطيعون أن يعدوا لأي مكان في مجتمعنا المتزايد في تعقيده بواسطة طريقة واحدة غير متغيرة، والواقع أن قياس قدرات الجميع في ضوء مجموعة من المستويات المتشابهة يعتبر قياسا غير واقعي، إذ أنها لا

تدرك أن القدرات الفردية تختلف في وسائل كثيرة أكثر مما تشابهه، ولا تدرك أن أي مستوى يعتبر مناسبا للشخص المتوسط قد يكون سهلا جدا بالنسبة للبعض وصعبا جدا بالنسبة للبعض الآخر، أنها تخفق ف إدراك أنك لا تستطيع تقسيم الناس وترتيبهم على أساس المتوسطات، ذلك أن فكرة الرجل المتوسط خرافة إحصائية، وفضلا عن ذلك فكثيرا ما يضفي الناس على المدرسين الذين يحكمون على التلميذ بكلمات بسيطة مثل «نجح» أو «فشل» قوة إلهية، والمدرسون المحنكون لا يدعون مثل هذه القوة بسهولة.

ولهذه الأسباب بدأت المدارس الحديثة في تجريب أكثر إنتاجا وأكثر واقعية لتقدير النشء واستثارته، وتعتبر هذه الطرق علمية، كالتقديرات القائمة على الاختبارات الفنية التي تعطى صورة لجميع قدرات التلميذ بدلا من الحكم عليه بالإشارة إلى قليل منها، وهناك طرق أخرى غير شكلية مثل: الملاحظات، الخطابات، اجتماعات الآباء، البطاقات الشاملة، حيث لا تعتبر كلمه جيد أو رديء، أو نجح أو فشل كلمات نهائية، وحيث لا تعتبر الكلمة نهائية – إدانة أو حكما – بل إنها تعتبر وصفا لنمو التلميذ أثناء سنوات من الملاحظة الدقيقة لخبراته في كثير من ميادين النشاط والدراسة.

وهناك طرق كثيرة تظهر فيها الكفاءة، كما أن هناك أشياء منوعة يعملها الناس، والنجاح في هذا العدد القليل الناقص من المواد الدراسية التي توجد في برنامج مدرسة من طراز ١٩٠٠ لا يقيس النجاح في الحياة قياسا حسنا، غير أن النجاح في المدرسة يمكن أن ينبيء عن النجاح في

الحياة حينما تكون المدرسة أكثر واقعية، وحينما تكون مدركة لتنوع المواهب، وعندما يحتوى برنامجها على عينات تمن هذه المواد التي توجد في الحياة، وعندما تعمل على تنميتها على أوسع نطاق ممكن، وحين توفر خبرات في الموسيقى والطلاء والتمثيليات والحياكة والتركيب والحديث إلى عدد من الناس في مكان عام، وجمع الأخبار والبحث في الكتب، والطهي وقرض الشعر ودراسة الطبيعة وعمل السجاجيد، وصناعة الفخار، وتعلم الطباعة ومقابلة الناس، وصناعة المعادن والطيران وزراعة النباتات، ومسح الأرض، والترفيه وتزيين المنزل والشراء والبيع ورصلاح الراديو وتركيبه.. ويمكن أن تمضي القائمة إلى غير نهاية.

غير أن وصف قدرات الشخص على عمل كل هذه الأشياء لا يمكن تبسيطه تبسيطا زائدا في أ، ب، ج، ولا نستطيع أن نتحكم في عمر الإنسان بقولنا «ناجح» أو «راسب».

وكثيرا ما كانت الحال على هذا النحو في الماضي، وقد وجدت مجموعة من القيود التربوية البسيطة وكانت هذه القيود كالغربال الذي يفرز الحصا فلا يمر من خروقه الكثير، ولم تكن هذه القيود صادرة عن حكم إنسان بل صدرت عن حكم النظام وبمقتضاه مما أدى إلى ترك كثيرين للمدرسة في السنة السادسة أو الثامنة ذلك لأن ما تقدمه لا يتناسب شخصياتهم وقدراتهم، وهذا يدل على خسارة اجتماعية وهي ضياع الوقت الذي أمضوه في المدارس دون أن يفيدوا منه شيئا، وهم يتركون المدرسة لا لعجز قدراتهم، بل لأن هذه المدرسة من طراز ١٩٠٠ وهذا الطراز تعوزه التربية التي تنمي هذه الأنواع نموا تاما ولأنه قد افترض أن طرق التربية التي تنجح

مع قليل من التلاميذ تصلح للجميع.

ولكي تنجح المدرسة في هذا الاتجاه لابد أن تدرك أن أعداد الكفاءات التي تناسب العالم الحاضر وعالم المستقبل يتطلب اختبار عدد هائل من طرق العمل، ولابد أن تدرك أيضا أن الإعداد للحياة السعيدة يتطلب منا أن ننمي في كل تلميذ مواهبه الأساسية، وتعتبر المدرسة التي من طراز ١٩٠٠ برجا عاجيا متخلفا عن العالم بالنسبة لتحقيق هذا الهدف.

ويقع رجال الأعمال في خطأ هو افتراضهم أن مجموعة من المعايير يمكن أن تطبق على جميع الخريجين لانتفاء من يختاروهم للعمل، والإنسان الذي يوظف خريجا من مدرسة ثانوية ويجده عاجزا عن القيام بالأعمال التي يطلب إليه أن يعملها في حاجة إلى أن يدرك أنه ليس جميع خريجي المدرسة لا يصلحون لهذا النوع من العمل، وينبغي أن تتطلب المدرسة من المتخرجين فيها أن يصلوا إلى مستوى معين في الهجاد، والمدارس في تحسن مستمر في هذه الأعمال التربوية البيسطة وهي أحسن بما كانت عليه في الماضي، غير أن رجل الأعمال مثله كمثل الأب ينبغي أن يتحقق من أن كل مستوى من مستويات الكفاءة موجود في كل جانب من جوانب النشاط الإنساني، وأن المواهب الخاصة المجتمعية التي يريدها من يؤجر من الأشخاص لا يمكن أن تنقش أو تطبع على دبلوم المدرسة الثانوية ولكنه يستطيع أن يكون أكثر اطمئنانا إذا ما عبر عن مطالبه لشخص مسئول في المدرسة، وإذا ما كان في المدارس الحديثة موجهون وظيفتهم أن يجدوا الشخص المناسب لصاحب العمل وأن يجدوا أيضا المكان المناسب

للتلميذ، أما أن يعين رجل الأعمال أول شاب يقدم إليه وفي يده دبلوم أو شهادة فلا يمكن أن يكون ذلك مرضيا له.

وقد يثار سؤال بهذا الصدد: إذا كانت إحدى الوظائف الكبرى للمدرسة الحديثة هي الكشف عن ميول الصغار، فلماذا تضيع سنوات طويلة في ممارسة الخبرات الفعلية؟ لماذا لا تطبق المدرسة مجموعة من اختبارات الميول؟ أليس في ذلك توفير في النفقات واقتصاد في الوقت؟ والمدرسة الحديثة تستخدم اختبارات الميول وتضع نتائجها موضع الاعتبار عند وصف إمكانيات كل تلميذ، والاجاه السائد في المدرسة الحديثة هو أن تستفيد من كل وسيلة علمية أو غير علمية يمكن أن تساعد المدرسين على سبر أغوار التلميذ، غير أنه لا يوجد اختبار للميول مقنع إقناعاً تاماً، إنه من الممكن أن يكون الاختبار مرشدًا أو موجها يكشف عن إمكانيات التلميذ ولكنه لا يعطي إجابة نهائية، والعلم لا يزودنا بكل شيء عن الناس، ذلك أنهم أشق الموضوعات التي ينبغي على الإنسان نفسه أن يتناولها على الرغم من أن العلم أمدنا بالكثير عنهم، ومن غير المحتمل إلى حد كبير أن يوجد اختبار للميول في ميدان معين يمكن أن ينبأ بدقة عن قدرة الشخص على العمل في هذا الميدان، وباختصار توجد أنواع من القصور عديدة في الاختبارات.

والطريق الآخر هو إمداد الأفراد منذ رياض الأطفال إلى الجامعة بمناسبات كثيرة للخبرة في ميادين كثيرة مهنية وثقافية وعقلية في ميادين ابتكارية بحيث أن الأشياء التي يستطيع كل طفل أن يجيد عملها تظهر للمدرسين الذين اختيروا ولاحظوا نمو النشأ وليوجهونه بعناية وحرص،

والنشاط أو الدراسة التي تناسب طفلا قد لا تناسب طفلا آخر في نفس العمر، ويختلف التلاميذ على هذا النحو في القدرات الخاصة، وفي سرعة النمو، وفي معلوماتهم العامة، وفي خبرتهم الماضية، ويتباينون في صداقاتهم وفي عوافهم وآمالهم ودوافعهم، فمن غير المناسب إذن، بل ومن الحمق، وما يجافي الإنصاف، أن نحاول أن نوائم بين الأطفال جميعا وبين نمط تعليمي واحد، حتى لو كانت هذه المواءمة في الإمكان.

ولكل شيء وقت مناسب في حياة الطفل، وقد يختلف الوقت باختلاف الأطفال، وقد يختلف من الأب إلى الابن، وقد يجد كل طفل في المدرسة الحديثة ذات الخبرة الكثيرة المتنوعة والتي يضاف إلى خبراتها خبرات جديدة دائما – بغض النظر عن حاجته – الخبرة التي تناسبه عن طريق المحاولة والممارسة، أن عمل المدرس الماهر هو أن يخطط هذه الخبرات وأن يلائم بينها وبين الطفل في الوقت المناسب، والبستاني الماهر يعرف متى يشذب الزراع، ويعرف متى يرشه بالماء، ومتى يحرث الأرض ويعرف أيضا متى يسمد التربية وتختلف مواقيت هذه الأشياء باختلاف النباتات، ووفقا لما بلغته من عمر، وطبقا لطرقها في النمو، ولما حدث لها في الماضي، وبعبارة واحدة إن طريقة التدريس في المدرسة الحديثة تهدف إلى إنماء الأطفال كما ينمي البستاني الماهر النباتات – طريق الملاحظة الدقيقة وعن طريق الاهتمام البالغ، وهذه الطريقة ليست سهلة ميسورة، وحتى أفضل المدارس التي تعمل اليوم قد تفتقد هذه الطريقة بين الحين والآخر.

وتستطيع أية مدرسة أن تقوم بعملها على نحو أفضل بمساعدة الأب وبمساعدة المواطن المهتم بشئون التربية لأن المنزل والمدرسة والمجتمع المحلى

تكون موقفا تربويا واحدا ينمو فيه الطفل، والتعاون والاتصال بين الأب والمدرس أمر ضروري، والتعاون بين المدرس وبين المواطن المهتم بشئون التربية أمر ضروري أيضا، إن ئيس نادى المدرسة، والشخص الذي يهوي الفلك وينظم جماعة الفلك في المدرسة ورجل الأعمال الذي يوجه الصغار في طرق حيلتهم، كل هؤلاء يساعدون على توسيع مجال الخبرات التي يجدها البنون والبنات في الموقف التربوي، والأب الذي يرى أن يتاح لابنه أو لابنته الفرصة للقيام برحلات، وأن يتاح له زيارة المتاحف، وامتلاك الكتب والمجلات وأن يسمح له بالذهاب إلى حفلات.. إنما يزيد من خصوبة [١] حياة الطفل، وينبغى قبل كل شيء أن يكون اختيار هذه الخبرات نتيجة تشاور مشترك بين الآباء والمدرسين.

(١)يتضمن هذه أهمية تعاون الآباء وغيرهم من المهتمين بشئون التعليم مع المدرسة تعاوناً يهدف إلى توجيه نمو التلاميذ والنهوض بالبيئة التي يعيشون فيها، إلا أن ذلك يتطلب من المدرسة المصرية تحمل مسئولية تعريف الآباء بوظيفة التربية وتبصيرهم بالدور الذي يمكنهم القيام به وذلك عن طريق تنظيم وسائل مختلفة منها: مجالس الآباء وتبادل الزيارات والمساهمة في مراكز الخدمات الاجتماعية، والنشرات والإذاعة المدرسية.